﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦٓۚ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٞۖ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٖ ٧﴾ [الرّعد: 7]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

الـكـشـف عـن تناقض المشركين وتـضـارب مطالبهم

لمّا أخبر ربُّ العزَّة سبحانه عن طعن المشركين في نبوَّة رسول الله ﷺ، عبر طعنهم في قضيَّة البعث والنُّشور، وطعنهم في صدق النُّذر الآتية من ربِّهم؛ بيَّن سبحانه أنَّ من جملة الطَّعن في نبوَّته طلبهم معجزة خارقة للعادة؛ لعدم اعتدادهم بالآيات الَّتي تَأيَّد بها ﷺ، وأعظمها آيات القرآن الكريم[1]، فالمناسبة بين هذه الآية والسّابقة، هو الانتقال من طلب المشركين الإتيان بالسَّيِّئة الَّذي هو دليل القطع بالتَّكذيب، إلى طلب الإتيان بمعجزةٍ الَّذي هو دليل احتمال التَّكذيب، فأثبَتتِ المناسبةُ تضاربَ أقوال المشركين، وتناقض كلامهم.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ءَايَةٞ﴾: الآية: هي العلامة الظّاهرة، بحيث تكون مصاحبةً لأمرٍ آخر لا يظهر ظهوره، فمتى أدرك أحدٌ العلامة الظّاهرةَ؛ أدرك الأمر المصاحب والمُلازم لها الَّذي لم يُدركه لذاته؛ لأنَّهما متلازمان يلزم من إدراك الأكثر ظهورًا إدراكُ الأقلِّ ظهورًا[2]. وأصلها (أوَيَة) على وزن (فَعَلة)[3]، وجمعها: آيٌ، وآياتٌ، وآياتٌ[4].

ومعناها المحوريُّ: بقاء الشَّيء في مكانه شاخصًا علامةً لشيء آخر، بحيث إنَّه إذا نظر إليه النّاظر قاصدًا شخصه؛ دلَّه على أمر آخر[5].

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 19/12، وابن عادل، اللُّباب: 11/256، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 13/94.
(2) الرّاغب، المفردات، والسّمين الحلبيّ، عمدة الحُفّاظ: (أيي).
(3) الجوهريّ، الصّحاح، وابن منظور، لسان العرب، والزّبيديّ، تاج العروس: (أيي).
(4) الجوهريّ، الصّحاح: (أيي).
(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (أيي).

والمُراد بآية في هذه الآية، ما يُرادِف المعجزةَ في الاصطلاح العُرفيِّ.

2) ﴿مُنذِرٌ﴾: الإنذار: إخبار وإبلاغ مع تخويف وتحذير[1]. وأصله من التَّخويف والتَّحذير ممّا يُخشى منه[2]، ومنه النَّذير بمعنى المُنذِر، والنَّذير بمعنى الإنذار، وجمعه: نُذُر[3]. والإنذار: الإعلام بالشَّيء يُحذَر منه، والمُنذِر هو المبلِّغ والمُعْلِم بهذا الشَّيء، والمُنذِر كذلك الرَّسول أو النّبيُّ يبلِّغ بالأمر العظيم من شأن الآخرة يخوِّفهم، ويحذِّرهم منها[4].

❁ المَعْنى الإجْماليّ:

إنـــزالُ الآيـات تـابـعٌ لإرادةِ ربِّ العـالمين لا لاقتراح المقترحين

يعاند الجاحدون، فيقترحون على سبيل الاستكبار إنزالَ معجزةٍ وحُجَّةٍ ماديّةٍ على النَّبيِّ ﷺ؛ ليؤمنوا به، ويصدِّقوا نبوَّته، ولم يكتفوا بآية القرآن الباهرة، وحججه المتواترة، فيجيبهم المولى سبحانه مُبيِّنًا لنبيِّه ﷺ، أنَّه داعٍ ومُبلِّغٌ ورسولٌ عن الله، وأنَّ لِكُلِّ جماعة إمامًا يأتَمّون به، وقائدًا يقودهم، ويدعوهم، إمّا إلى الخير والحقِّ، وإمّا إلى الشَّرِّ والضَّلال[5].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيّ:

معنى الواو في ﴿وَيَقُولُ﴾:

الاستئناف والعطف يقتضيان وجودَ علاقةٍ صريحةٍ أو ضمنيَّةٍ بالسّابق

الواو في قولِه تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ تحتمل وجهيْن:

أحدهما: أن تكون الواو استئنافيَّةً، فلا يكون لجملتها ارتباطٌ

(1) الجوهريّ، الصّحاح، وابن فارس، المُجمَل، والرّاغب، المفردات، والسّمين الحلبيّ، عمدة الحُفّاظ: (نذر).

(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (نذر).

(3) الجوهريّ، الصّحاح، والسّمين الحلبيّ، عمدة الحُفّاظ، وابن منظور، لسان العرب: (نذر).

(4) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، والسّمين الحلبيّ، عمدة الحُفّاظ: (نذر).

(5) ابن جرير، جامع البيان: 13/437، والبغويّ، معالم التّنزيل: 4/296، وابن الجوزيّ، زاد المسير: 2/484، والقرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 9/285، وابن جُزيّ، التّسهيل: 1/400، وأبو حيّان، البحر المحيط: 6/354، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 4/372، والبيضاويّ، أنوار التّنزيل: 3/182، والسيوطيّ والمحلّيّ، تفسير الجلالين، ص: 322، والشّوكانيّ، فتح القدير: 3/82، والآلوسيّ، روح المعاني: 7/102، والهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 14/181.

مباشرٌ بجملة سابقة بعينها، ولكنَّ ارتباطَها ناشئٌ عمّا سبق من الكلام.

فهولاء الكافرون في ضلال بعيد، وحالهم كما بيَّنه الله سبحانه لا يتغيَّر؛ فهم ثابتون على الجحود والتَّكذيب.

والآخر: أن تكون الواو عاطفةً، حيث جاءت جملتها ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ معطوفةً على جملة ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾؛ فهذه حالة من أعجوباتهم، وهي عدم اعتدادهم بالآيات الَّتي تأيَّد بها مُحمَّد ﷺ، وأعظمُها آيات القرآن الكريم[1]. فجاءت هذه الآية غضًّا من اقتراحاتهم المتشطِّطة الَّتي لم يُجرِ الله به عادةً إلا للأُمَّة الَّتي حتَّم بعذابها واستئصالها[2].

بلاغةُ إظهار ما حقُّه الإضمار في الآية:

عدلتِ الآية عن الإضمار إلى الموصول في قولِه تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾؛ فلم يَقُلْ: (ويقولون لولا أنزل..)؛ ذمًّا لهم بكفرهم بآيات الله الَّتي تخرُّ لها الجبال، حيث لم يرفعوا لها رأسًا، ولم يعدّوها من جنس الآيات، وقالوا: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ﴾ إلى آخره[3]، وذلك أقصى مراتب المكابرة والعناد.

الـكـفـر عـلَّـةُ التَّكذيبِ وأمارةُ التَّعذيب

نكتةُ التَّعبير بالمضارع في ﴿وَيَقُولُ﴾:

آثر النَّظمُ التَّعبيرَ بالمضارع في قولِه تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾؛ فلم يَقُلْ: (وقال الّذين كفروا..)، مع تحقُّق قيلهم؛ إشارةً إلى أنَّ ذلك القول ديدنهم[4]، فصيغة المضارع تدلُّ على تجدُّد قولهم وتكرُّره[5]، واستحضارًا للحال الماضية، وتصويرًا للمشهد الَّذي يبعث

تصويرُ مشهد المطالبة بإنزال المعجزة يورث الإشفاق في نفوس المؤمنين

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 13/94.
(2) ابن عطيّة، المُحرَّر الوجيز: 3/297.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/7، والهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 14/203.
(4) الآلوسيّ، روح المعاني: 7/102.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 13/95.

في نفوس العقلاء الاشمئزاز، وفي صدور المؤمنين الإشفاق، فكان المضارعُ أكثر أثرًا من الماضي مع استحضار تحقُّقه.

ويومئ التَّعبير بالمضارعِ إلى أنَّ هذه المطالبة قد تتكرَّر من أتباع الَّذين كفروا في قابل الأيام، فتكون الآيةُ مشيرةً إلى إعجازٍ غيبيٍّ.

دلالة استعمال الاسم الموصول ﴿ٱلَّذِينَ﴾:

اجتماعُ الَّذين كفروا كان انطلاقُه من الكُفرِ، ومبناه على الكُفر، وغايته الكُفر

آثر النَّظم الكريمُ التَّعبيرَ بالاسم الموصول في قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾، دون أن يقول: (ويقول الكافرون)، أو بالإضمار على ما سبق توجيهه، ذلك أنَّ المقصودين بالاسم الموصول هم عين أصحاب ضمير ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ﴾، وإنَّما استعمل الاسم الموصول لزيادة تسجيل الكفر عليهم، ولما يومئ إليه الموصولُ من تعليلِ صدور قولهم ذلك[1]، وللإشارةِ إلى أنَّ القائلين معهودون معروفون بأعيانهم، وجاء جمعًا لبيانِ أنَّ مثل هذه الأقوال لا تصدرُ عن فردٍ بعينِه، بل عن مجموعٍ بأعيانِهم، وأنَّ اجتماعَهم كان انطلاقُه من الكفرِ وغايته للكُفرِ، ومبناه على الكفر.

سرُّ إيثارِ عنوان الكُفر في ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾:

سياقُ الآيات حديثٌ عن الجحود والتَّكذيب والإنكار لا عنِ اتخاذِ الأنداد

تدور معاني الكفر حول السَّتر والتَّغطية[2]، بينما تدور معاني الشِّرك حول المُقارَنة وخِلافِ الانفراد[3]، كما أنَّ نقيض الشِّرك في الحقيقة الإخلاص، ثمَّ لمّا استُعمل في كلِّ كفرٍ؛ صار نقيض الإيمان، ولا يجوز أن يُطلق اسم الكفر إلّا لمَن كان بمنزلة الجاحد لنِعَم الله، وذلك لعِظم ما معه من المعصية[4].

وقد حكى الله تعالى عن الكفّار أنَّهم طعنوا في نبوَّةِ رسول الله ﷺ؛ بسبب طعنهم في الحشر والنَّشر أوَّلًا، ثمَّ طعنوا في نبوَّته بسبب

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 13/94.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (كفر).
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (شرك).
(4) العسكريّ، الفروق اللّغويّة: 1/230.

طعنهم في صحَّة ما ينذرهم به من نزول عذاب الاستئصال ثانيًا، ثمَّ طعنوا في نبوَّته بأن طلبوا منه المعجزة والبيِّنة ثالثًا، وهو المذكور في هذه الآية[1]. فعبَّر بالكفر دون الشِّرك لتجلّي معاني الجحود الَّتي تقتضي ستر الحقِّ رغم علمهم به عنادًا له صلوات ربّي وسلامه عليه.

فالكفرُ أعمُّ بلاءً من الشِّرك من جهة، والشِّرك أشدُّ اجتراءً من جهةٍ أخرى، والمناسب لسياقِ الآيات هو ذِكرُ الكفرِ؛ لأنَّ السّياقَ حديثٌ عن جحود الكافرين وتكذيبهم وإنكارهم، لا عن شِركهم مع الله غيره.

بلاغةُ حرف التَّحضيض ﴿لَوۡلَآ﴾:

جاء حرف التَّحضيض في قولِه تعالى: ﴿لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ﴾؛ لبيان أنَّ الَّذين كفروا يُموِّهون بتحضيضهم أنَّهم حريصون وراغبون في نزول آيةٍ غير القرآن ليؤمنوا، وهم كاذبون في ذلك؛ إذ لو أوتوا آية كما يقترحون؛ لكفروا بها، كما قال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ﴾ [الإسراء: 59][2]، وهذا دليلٌ على أنَّ الَّذين كفروا يُمارسون الأسلوب النّاعم في هذه المرحلةِ؛ للوصول إلى أهدافهم المُبتغاة، وهم كاذبون غير آبِهين بأحدٍ.

إظهارُ الرُّقيّ والصِّدق في التَّعامل مسلك الكافرين وديدنُ المنافقين

نكتةُ استعمالِ الإنزال دون المجيء:

معنى المَجيء: الإتيان[3]؛ وهو الحضور إلى حيِّز[4]. أمّا الإنزال؛ فتدور معانيه حول الهُبوطِ والوُقوعِ[5]. كما تختلف صيغة ﴿أُنزِلَ﴾ عن نزَّل في قولِه تعالى: ﴿لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ﴾، فالإنزال يُستعمل في الدَّفعة، والتَّنزيل يُستعمل في التَّدريج[6].

طلبُ الإنزالِ يومئ إلى الاعترافِ الضِّمنيِّ بأنَّ ما يأتي النَّبيَّ مُنزَلٌ

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 19/12.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 13/95.
(3) ابن منظور، لسان العرب: (جيأ).
(4) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: 1/264.
(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (نزل).
(6) الجرجانيّ، التّعريفات، ص: 68.

ولمّا كان هؤلاء الكافرون غير معتدّين بالآيات الباهرات الَّتي أنزلها الله على رسوله من قبل، واقترحوا آيةً عظيمةً أخرى غير ما أنزل؛ ناسب هذا التَّعبير بلفظ الإنزال لا المجيء، فلم يقُل: (لولا جاءنا بآية)، وفي ذلك إيماءٌ إلى زلتهم في الاعتراف بأنَّه أُنزل عليه، ولِما في الإنزالِ من معنى الوقوع في دفعة عظيمة بيِّنة للرّائي، فمع علمهم بآيات الله المنزلة واعترافهم بنزولها في أنفسهم، لا يعتدّون بها، بل يقترحون إنزال آية من مثل ما أوتي موسى وعيسى عليهما السلام.

سرُّ بناءِ الفعل ﴿أُنزِلَ﴾ للمفعول:

آثر التَّعبيرَ ببناءِ الفعلِ للمفعولِ في قولِه: ﴿أُنزِلَ﴾؛ للاهتمام بالمُنزَل لا المُنزِل؛ أيْ: إنَّ هؤلاء الكافرين يهتمّون فقط بالآية الَّتي يطلبون نزولها، ولا يهتمّون كثيرًا بمَن يُنزلها؛ يريدون أن يروها بإنزال أيِّ كائنٍ كان، وهذا لجحودهم وإنكارهم كلَّ ما آتاه ربُّه من آيات سابقات[1].

المشركون يهتمّون بطلبهم ومقترحهم لا بمَن يُحقِّقه

سرُّ التقديم في قوله: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ﴾:

قُدِّم الجارُّ والمجرور في قولِه تعالى: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ﴾؛ للاهتمام بالمُتقدِّم؛ فطلبُ الكافرين إنزالَ آية هو في كونِ الإنزال على رسول الله ﷺ، ففيه تهكُّمٌ يومئُ إلى حسدِهم، أيْ: لولا أُنزل على مَنْ يدَّعي النُّبوَّة آيةٌ؛ لنعلم صدقه من كذبه.

تهكُّمُ الكافرين يكشفُ حسدَهم، ويفضحُ كراهيتهم

دلالة حرف الاستعلاء ﴿عَلَيْهِ﴾:

تعدَّى فعلُ الإنزال في قولِه تعالى: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ﴾ بحرف الاستعلاءِ، دون حرف انتهاءِ الغاية (إلى)؛ للإشارةِ إلى طلبِ إنزالِ الآيةِ على وجه السُّرعة، فإنَّ الإنزال من عُلوٍّ يقتضي تسارع نزوله، كما أنَّه المناسب مع المعجزة المحسوسة.

طلبُ المعجزةِ المحسوسة على وجه السُّرعةِ

(1) البقاعيّ، نَظْم الدُّرر: 10/285.

نكتتا التنكيرِ والإفراد في ﴿ءَايَةٌ﴾:

المُراد بالآية في قولِه تعالى: ﴿لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٌ﴾ الآية الحسيَّة، كقلب عصا موسى حيَّة وناقة صالح[1]، وفي ذلك تتجلَّى أقصى مراتب المكابرة والعناد؛ كأنَّ ما أنزل عليه ﷺ من الآيات العِظام الباهرة ليست عندهم بآية، حتى اقترحوا ما لا تقتضيه الحكمة من الآيات، كسقوط السّماء عليهم كسفًا، وسير الأخشبَيْن ... إلى غير ذلك[2]، ونُكِّرت ﴿ءَايَةٌ﴾، وأُفردت؛ للدّلالة على الوحدة[3]؛ أيْ: آية واحدة لا أكثر، أو الإبهام؛ أيْ: أيُّ آية خارقة للسُّنَّة الكونيَّة، دون تحديد مواصفاتٍ لها، أو تعيين ماهيتها، وهما مقبولان في هذا المقام.

التَّنكيرُ محمولٌ على الوحدة أو الإبهام وكلاهما مقبول في هذا المقام

سرُّ التَّعبير بقوله: ﴿مِّن رَّبِّهِۦٓ﴾:

آثر النَّظم بناءَ الفعل للمفعول، فلم يَقُلْ: لولا أنزل ربُّه عليه آيةً، ثمَّ ذكر الفاعل الَّذي هو الجارّ والمجرور ﴿مِّن رَّبِّهِۦٓ﴾، وسرُّ ذلك أنَّ الَّذين كفروا اعتنوا بتوجيه الطَّلب في إنزال الآية، ثمَّ بعد ذلك قالوا: ﴿مِّن رَّبِّهِۦٓ﴾ على سبيل التَّهكُّم، أيْ: فليأتِ بآية نازلةٍ من ربِّه كما يزعم.

دلالةُ الإضافة في قوله: ﴿مِّن رَّبِّهِۦٓ﴾:

إنَّ هؤلاء المشركين لا يؤمنون بأنَّ اللّه هو مَن أرسل مُحمَّدًا، وأنزل عليه قرآنه؛ لذا فهم يطالبون النَّبيَّ ﷺ بأن يأتيهم بآية واضحة عظيمة من ربِّه المُحسن إليه تصديقًا لادِّعائه؛ إيهامًا منهم بأنَّهم يسعون إلى الإيمان[4]، أو تهكُّمًا بما يزعم - على حدِّ ادِّعائهم - أنَّه مؤيَّدٌ من ربِّه؛ كأنَّهم قالوا: إن كان ربًّا؛ أفلا يؤيِّد عبده، ويلبّي اقتراحات خصمه؟

التَّـهـكُّـمُ بالنَّبيِّ سبيلُ الحاسدين ومَـهْـيَـعُ الجاحدين

(1) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 14/200.
(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 7/140 - 141.
(3) الآلوسيّ، روح المعاني: 7/102.
(4) البقاعيّ، نَظْم الدُّرر: 10/286.

كما أنَّ في إضافة لفظ (رب) إلى الضَّمير إشارةً منهم إلى أنَّ ربَّ النَّبيِّ ﷺ ليس ربَّهم، ولا إلههم الَّذي يعبدونه، وأنَّهم لا ينتسبون إليه.

بلاغةُ القصر في ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ﴾:

دفـعُ تـوهُّـم أن يـكـون لـلرَّسـول مـهـمَّـةٌ سـوى الإنذار

ردَّ الله اقتراحهم من أصله بقوله: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ﴾[1]، وجاء هذا الرَّدُّ بصيغة الحصر لبيان أنَّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مُرسَلٌ لإنذار العباد، وبيان ما يَحذَرون عاقبته، وليس عليه غير ذلك[2]، ونكتةُ الحصر بإنَّما: أنَّها تأتي لما يعرفه المخاطَب، وقد أتى بها لدفع أيِّ تعلُّق ممّا قاله المشركون، والمعنى: أنَّ وظيفتك محصورةٌ في الإنذارِ لا بشيءٍ آخر، فلا تنظر فيما يقولون، ولا تذهب نفسُك عليهم حَسَراتٍ في إقناعِهم بما لا يعقلون.

دلالة استعمال ضمير الخطاب ﴿أَنتَ﴾:

زيـــادة تـأكـيـد تخصيص النَّبيِّ بمهمَّة الإنذار

إن النَّبيَّ ﷺ وحده فقط هو المُرسَل لإنذار الكافرين من قومه، فلا يلزمه الالتفات إلى مقترحاتهم، ولا يبتئس بجحودهم؛ فما عليه إلّا البلاغ والإنذار[3]، واستُعمل ضمير الخطاب ﴿أَنتَ﴾ في قولِه: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ﴾؛ لتحريك مشاعرِه تجاه المطلوب بقوَّةٍ، كما قال تعالى ليحيى عليه السلام: ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ﴾ [مريم: 12].

نكتة قصر الموصوف على صفة الإنذار:

مـقـامُ الإنـــذارِ تُنتقى ألفاظُه الخاصَّة به

أصل الإنذار الإعلام بموضع المخافة ليُتَّقى[4]، وقصَرَ النظم القرآني النبيَّ ﷺ في قولِه: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ﴾ على صفة الإنذار، وهو قصرٌ إضافيٌّ، والمعنى: إنَّما أنت منذِر لا موجِد خوارقِ عادة، ويظهر بهذا وجه قصره على الإنذار دون البشارة؛ فهو قصرٌ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 13/95.
(2) الشّوكانيّ، فتح القدير: 3/82.
(3) الآلوسيّ، روح المعاني: 7/102.
(4) البقاعيّ، نَظْم الدُّرر: 10/285.

إضافيٌّ بالنِّسبة لأحواله نحو المشركين، أيْ: إنَّما أنت منذر هؤلاء الكافرين[1]؛ فالمقامُ مقام إنذارٍ لا تبشير، والسّياقُ معينٌ على فهم أسرار اختيارِ الألفاظ.

بلاغةُ التَّذييل في قولِه: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾:

الـرَّسـول منـذرٌ وهـادٍ كغيره من الرُّسل

في ختام الآية الكريمة تذييل بالأعمِّ؛ أيْ: إنَّما أنت منذر لهؤلاء لهدايتهم، ولكلِّ قومٍ هادٍ أرسله الله؛ يُنذرهم لعلَّهم يهتدون، فما كنتَ بِدْعًا من الرُّسل، وما كان للرُّسل من قبلك آياتٌ على مقترَح أقوامهم، بل كانت آياتهم بحسب ما أراد الله أن يُظهره على أيديهم[2].

نكتةُ تأخير المُسنَد إليه ﴿هَادٍ﴾:

تأتي الهداية من الله وحده

أخَّرتِ الآيةُ المسندَ إليه، وذلك لتقديم المُسند ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ﴾ بغرضِ إفادة العموم، فلكلِّ قوم هادٍ يهديهم، فيتَّبعونه، ويأتمّون به، والنَّبيُّ ﷺ ليس بدعًا من الرُّسل صلوات ربّي وسلامه عليهم، كما أنَّ في تأخير المُسنَد إليه ﴿هَادٍ﴾ إشارةً لطيفة إلى أن تأخُّر الهداية يكون بقدَر الله؛ فما على كلِّ رسولٍ إلّا البلاغ، وإنَّما تأتي الهداية متى يُقدِّر الله ﷻ هدايتهم.

دلالةُ إيثار التَّعبير بلفظِ ﴿قَوْمٍ﴾:

لكلِّ قومٍ منذرٌ، ولـه أمـة تتَّبع هداه

القوم في الأصل جماعة النّاس عامَّة، ويُلحظ فيه معنى الانتصاب والقيام، فالقوم هم المظاهِرون المُقَوّون لَمَن هو منهم، ولذلك تُطلق على الرِّجال دون النِّساء، باعتبار أنَّهم مَن يُعْتَدُّ بهم في الحروب وما إليها[3].

أمّا لفظ (الأمَّة)؛ فتدور معانيه حول التَّضامِّ بين الأشياء المتجانسة، أيْ: لحاق بعضها ببعض في حيّزٍ يُحيط بظاهرها[4].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 13/95.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 13/95.
(3) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (قوم).
(4) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (أمم).

فلمّا كان السّياق سياقَ مفارقة وعدم تجانس في المعتقد بين النَّبيِّ وقومه؛ ناسبه التَّعبير بلفظ ﴿قَوْمٍ﴾ دون (أُمَّة).

سرُّ إيثار لفظ ﴿هَادٍ﴾:

الهداية أعمُّ من الإنذار

آثر النَّظمُ اختيارَ ﴿هَادٍ﴾ دون مرادفاته لاسيَّما (منذر)، ذلك أنَّ معنى ﴿هَادٍ﴾ في قولِه: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾، أي: داعٍ يهديهم إلى مراشدهم، ومنذرٌ يُنذرهم من مغاويهم؛ أيْ: يُبيِّن لهم ما أرسلنا به من النِّذارة والبشارة[1]؛ والمعنى: إنَّما أنت منذرٌ لقومك خاصَّةً، هادٍ إيّاهم إلى الحقِّ، وآثر لفظ الهداية دون الإنذار؛ لأنَّ الهداية أعمُّ من الإنذار، فما من هداية إلا وفيها إنذار[2]، كما أنَّ فيها بشارةً.

فنُّ الاحتباك في قوله: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾:

الإنذار والهُدى متلازمان، فبذكرِ أحدهما استغناءٌ عن الآخر

بالعموم الحاصل بالتَّذييل في قولِه: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾، والَّذي يشمل الرَّسول ﷺ؛ صار المعنى: إنَّما أنت مُنذر لقومك هادٍ إيّاهم إلى الحقِّ، ولكلِّ قوم مُنذر منهم وهادٍ؛ فإنَّ الإنذار والهُدى متلازمان، فما من إنذار إلّا وهو هداية، وما من هداية إلّا وفيها إنذار، والهداية أعمُّ من الإنذار، وفي هذا احتباكٌ بديع[3]؛ حيث إنَّ ذِكْر المُنذر أوَّلًا يدلُّ على حذفه ثانيًا، وذِكْر الهادي ثانيًا دالٌّ على حذفه أوَّلًا[4].

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيّةُ:

الآيةُ والبيِّنةُ والبرهانُ:

الآية إشارة إلى الدَّليل، والبيِّنة الحُجَّة الواضحة، والبرهان الحُجَّة القاطعة وأوْكَدُ الأدلَّة

الآية: العلامة، يُقال: ائتني بآية كذا، أيْ: بعلامةٍ، وقيل: الآيات إشارة إلى الأدلَّة[5]، والآية مُشتقَّة من التَّأيّي الَّذي هو التَّثبُّت والإقامة على الشَّيء[6].

(1) البقاعيّ، نَظْم الدُّرر: 10/286.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 13/95.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 13/95.
(4) البقاعيّ، نَظْم الدُّرر: 10/287.
(5) السّمين الحلبيّ، عمدة الحُفّاظ: 1/149.
(6) الرّاغب، المفردات، ص: 101، 102.

أمّا البيِّنة: فهي الحُجَّة الواضحة، والدَّلالة الواضحة عقليَّةً كانت أو محسوسة[1]. وأمّا البرهان: فهو الحُجَّة القاطعة المفيدة للعلم، ولا يكون إلّا قولًا يشهد بصحَّة الشَّيء[2]، وهو أوكد الأدلَّة، وهو الَّذي يقتضي الصِّدق أبدًا لا محالة[3].

(1) الزّبيديّ، تاج العروس: (بين)، والرّاغب، المفردات، ص: 157.
(2) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 97.
(3) الرّاغب، المفردات، ص: 121.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث والعشرون، سورة يوسف من الآية 56 إلى سورة الرّعد الآية 15
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثالث والعشرون، سورة يوسف من الآية 56 إلى سورة الرّعد الآية 15
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 23 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-20-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 23 : المجلد الثالث والعشرون، سورة يوسف من الآية 56 إلى سورة الرّعد الآية 15.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-20-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-8086351 بتاريخ 2024/02/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»